والضر بضم الضاد : سوء الحال في البدن أو العيش أو المال وهذا نحو ما أصاب قريشا من الشدة والقحط حتى كانوا يرون في الجو مثل الدخان من شدة الجفاف وحتى أكلوا العظام والميتة وقد أصاب ذلك مشركيهم ومؤمنيهم وكانت شدته على المشركين لأنهم كانوا في رفاهية فالشدة أقوى عليهم . فأرسلوا إلى النبي صلى ا عليه وسلم يستشفعون به أن يدعو ا بكشف الضر عنهم فدعا فأمطروا فعادوا إلى ترفهم قال تعالى (فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين) الآيات فدعاؤهم ربهم يشمل طلبهم أن يدعو لهم الرسول صلى ا عليه وسلم . و (منيبين) حال من الناس كلهم أي استووا في الإنابة إليه أي راجعين إليه بعد واشتغل المشركون عنه بدعاء الأصنام قال تعالى (إنا كاشفوا العذاب قليلا إنكم عائدون) . وتقدم (منيبين) آنفا .

والمس : مستعار للإصابة . وحقيقة : المس أنه وضع اليد على شيء ليعرف وجوده أو يختبر حاله وتقدم في قوله (ليمسن الذين كفروا منهم عذاب أليم) في العقود .

واختير هنا لما يستلزمه من خفة الإصابة أي يدعون ا إذا أصابهم خفيف ضر بله الضر الشديد .

والإذاقة : مستعارة للإصابة أيضا وحقيقتها : إصابة المطعوم بطرف اللسان وهي أضعف إصابات الأعضاء للأجسام فهي أقل من المضغ والبلع وتقدم في قوله تعالى (ليذوق وبال أمره) في سورة العقود و (وإذا أذقنا الناس رحمة من بعد ضراء) في سورة يونس .

واختير فعل الإذاقة لما يدل عليه من إسراعهم إلى الإشراك عند ابتداء إصابة الرحمة لهم .

والرحمة : تخليصهم من الشدة .

و (ثم) للتراخي الرتبي لأن إشراكهم با بعد الدعاء والإنابة وحصول رحمته أعجب من إشراكهم السابق ففي التراخي الرتبي معنى التعجيب من تجدد إشراكهم وحرف المفاجأة (إذا) يفيد أيضا أن هذا الفريق أسرعوا العودة إلى الشرك بحدثان ذوق الرحمة لتأصل الكفر منهم وكمونه في نفوسهم .

وضمير (منه) عائد إلى ا تعالى . و (من) ابتدائية متعلقة ب (أصابهم) . و (رحمة) فاعل (أصابهم) ولم يؤنث لها الفعل لأن تأنيث مسمى الرحمة غير حقيقي ولأجل الفصل بالمجرور . وتقديم المجرور على الفاعل للاهتمام به ليظهر أن الذي أصابهم هو من فضل ا وتقديره لا غير ذلك .

واللام في قوله (ليكفروا) لام التعليل وهي مستعارة لمعنى التسبب الذي حقه أن يفاد

بالفاء لأنهم لما أشركوا لم يريدوا بشركهم أن يجعلوه علة للكفر بالنعمة ولكنهم أشركوا محبة للشرك فكان الشرك مفضيا إلى كفرهم نعمة ا خشية الإفضاء والتسبب بالعلة الغائية على نحو قوله تعالى (فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا) .

وضمير (ليكفروا) عائد إلى الفريق باعتبار معناه .

والإيتاء : إعطاء النافع أي بما أنعمنا عليهم من النعم التي هي نعمة الإيجاد والرزق وكشف الضر عنهم .

A E بفاء وجيء . وإنذارا لهم توبيخا (فتمتعوا) بقوله الخطاب إلى الغيبة عن التفت ثم التفريع في قوله (فتمتعوا) لأن الإنذار والتوبيخ مفرعان عن الكلام السابق .

والأمر في (تمتعوا) مستعمل في التهديد والتوبيخ .

والتمتع : الانتفاع بالملائم وبالنعمة مدة تنقضي .

والفاء في (فسوف تعلمون) تفريع للإنذار على التوبيخ وهو رشيق . و (سوف تعلمون) إنذار بأنهم يعلمون في المستقبل شيئا عظيما والعلم كناية عن حصول الأمر الذي يعلم أي عن حلول مصائب بهم لا يعلمون كنهها الآن وهو إيماء إلى عظمتها وأنها غير مترقبة لهم . وهذا إشارة إلى ما سيصابون به يوم بدر من الاستئصال والخزي وهم كانوا يستعجلون بعذاب من جنس ما عذب به الأمم الماضية مثل عاد وثمود وكانت الغاية واحدة ؛ فإن إصابتهم بعذاب سيوف المسلمين أبلغ في كون استئصالهم بأيدي المؤمنين مباشرة وأظهر في إنجاء المؤمنين من عذاب لا يصيب الذين ظلموا خاصة وذلك هو المراد في قوله تعالى (إنا كاشفوا العذاب قليلا إنكم عائدون يوم نبطش البطشة الكبرى إنا منتقمون) . والبطشة الكبرى : بطشة يوم بدر .

(أم أنزلنا عليهم سلطنا فهو يتكلم بما كانوا به يشركون [35])